آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
السنة العشرون، العدد الثاني، الخريف والشتاء ١٤٣٨ هـ .ق، ١٤٩ – ١٦٥

دراسة مقارنة للرموز الدالة على الهداية والضلالة في كلام الوحي وعالم الرؤيا

علي‌اكبر مراديان قبادي*

الملخص

لغة الرمز من القواسم المشتركة في كلام الوحي وعالم الرؤيا، وكثرة الكتب المعنيّة بتفسير *القرآن الكريم* وتأويل الرؤيا تنبئ عن ظاهرة الانغلاق والرمزية في هذين المجالين. من اللافت أنّ بعض هذه الرموز لها دلالات مماثلة في كلا المجالين؛ منها الرموز الدالّة على الهداية والضلالة الأمر الذي تمّت دراسته في هذا المقال، حيث استُخرِجَت الكلمات التي ترمز إلى هذين المفهومين في كلا الحقلين، فعولجت مدلولاتها بأسلوب وصفي – تحليلي وتمّت مقارنتها حسب آراء المفسّرين والمعبّرين وذلك لفهم مدى ترابطهما وتشابههما، وقد حصل في نهاية البحث أنّ دلالات معظم هذه الرموز متشابهة تشابهاً ملحوظاً ينمّ عن صدورهما من معين واحد.

الكلمات الرئيسة: لغة الوحي، الدراسة المقارنة، رموز الهداية والضلالة، عالم الرؤيا.

پرتال جامع علوم انسانی

١. المقدمة

عالم المعارف القرآنية وعالم الرؤيا يزوّدان الإنسان بمعارف تبشيرية تساعده لنيل السعادة في الدنيا والآخرة ومعلومات تحذيرية تساعده لدفع المكروه والأذى. قد وجدنا أنّ هذين العالمين

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، بجامعة لرستان، moradian.a@lu.ac.ir
تاريخ الوصول: ١٣٩٦/٨/١٧، تاريخ القبول: ١٣٩٦/١٠/١٥

متشابهان ومترابطان من بعض الوجوه؛ منها أنّ كليهما يستخدم لغة الرمز لإيصال المعارف إلى الإنسان، وأنّ هذه الرموز متشابهة في كثير من الأحيان، والإنسان بحاجة إلى علم التفسير والتأويل في المجالين للكشف عن هذه المعارف المرموزة.

القرآن الكريم يحمل بين دفتيه جميع ما يحتاج إليه البشر للحصول على السعادة الدنيوية والأخروية، ولا شك أنّ هذا الكم الهائل من المعارف يتطلّب لغة خاصّة تحمل وجوها متعددّة من المعاني. كما أنّه من البديهي أنّ جميع الآيات القرآنية ليست على مستوى واحد في هذا المجال، فهناك آيات محكمات وأخر متشابهات وهناك آيات سهلة سريعة الفهم وهناك آيات أخرى مستعصية لا يكاد يستبينها القارئ إلّا بعد تأنّ ومطالعة متقصّية؛ الأمر الذي دفع العلماء إلى السعي للكشف عن مراميها ومفاهيمها مفسّرين ومؤوّلين.

عالم الرؤيا كذالك عالم منغلق يحتاج الإنسان لاكتشافه إلى علماء متخصصين يفهمون لغة الرؤيا ويتمكنون من فك رموزه.

يرى الباحث أنّ الإنسان يتلقّى في النصوص القرآنية وعوالم الرؤيا معارف مشيفرة بالرموز يتعين عليه فكها وكشفها حتّى يحصل على المغزى، وأنّ هذه الرموز الموجودة في بواطن آيات *القرآن الكريم* وعوالم الرؤيا متشابهة ومترابطة تتطلّب دراسات مقارنة، الأمر الذي دفع الباحث إلى تأليف هذا المقال بغية مناقشة الرموز الدالّة على الهداية والضلالة في *القرآن الكريم* وعالم الرؤيا ومقارنتها للكشف عن تشابهها وترابطها، وبتعبير آخر ينوي هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية.

١. ما هي الرموز الدالّة على الهداية والضلالة في *القرآن الكريم* وعالم الرؤيا؟

٢. كيف تمّ تفسير هذه الرموز وتأويلها في كلا المجالين؟

٣. وما هي وجوه تشابهها؟

والجدير بالذكر أنّ الرموز الدالّة على الهداية والضلالة في هذا البحث انقسمت إلى الرموز المعقولة (وهي النور والظلمة، والبصيرة والعمى، والحياة والموت)، والرموز المحسوسة (وهي الطريق والحبل، والسفينة).

٢. خلفية البحث

تاريخ الاهتمام بتأويل الرؤيا موغل في القدم، والأمم المختلفة كالمصريين واليونانيين والرومان لهم آثار في هذا الشأن على اختلاف آرائهم. وبدأ اهتمام المسلمين بتفسير الرؤيا منذ عهد النبي الأكرم (ص) حيث قصّ الله تعالى في بعض النصوص القرآنية رؤى رأتها بعض الأنبياء (ع)، وكما قام النبي (ص) وأجلّة الصحابة بتأويل أحلامهم. وكذا عُنيَ التابعون والأجيال التالية لهم بعلم تعبير الرؤيا، فقاموا بالتأليف والتنظير في هذا الفرع العلمي الخطير؛ منهم جعفر بن موسى الصادق (ع) ومحمد بن سيرين وغيرهما.

من هذه الكتب التي استفدنا منها في هذا المقال هي:

١. كتاب *تعبير الرؤيا* لأرطميدورس الإفسي (١٩٩١م)، وقد قام فيها بتأويل وتفسير بعض الرؤى والأحلام وفق الرؤية اليونانية القديمة؛

٢. كتاب *تعجيل السقيا في تعبير الرؤيا* كتبه أحمد فريد (١٤١٢ق)، وتطرّق خلالها إلى التعبير بدلالة *القرآن الكريم* والسنّة المطهّرة؛

٣. كتاب *دار السلام فيما يتعلّق بالرؤيا والمنام* لميرزا حسين النوري الطبرسي (١٩٩٢م)، في أربعة مجلّدات، يستند المؤلّف في هذا الكتاب على الرؤى والأحلام لإثبات فضائل أهل البيت (ع)؛

٤. أطروحة الماجستير بعنوان *الرؤيا في القرآن الكريم* لفتحية إبراهيم صرصور (٢٠٠٩م)، قامت الباحثة فيها بدراسة الرؤى التي وردت في *القرآن الكريم* ودرستها دراسة أسلوبية وعرضت آراء المفسّرين وناقشتها؛

٥. وكذلك كتاب *عجائب تفسير الأحلام بالقرآن* لأبي الفداء محمد عزّت محمد عارف (٢٠٠٨م)، حاول المؤلف فيه تأويل الرؤى والأحلام بمساعدة الآيات القرآنية؛

٦. وأطروحة بعنوان *سيميائية الأحلام في التراث العربي؛ كتاب تفسير الأحلام لابن سيرين أنموذجا* قدّمها محرز حمايمي (٢٠١٢م)، قام الباحث فيها بدراسة تأويلات ابن سيرين لبعض الرؤى والأحلام دراسة سيميائية؛

٧. وكتاب آخر بعنوان *الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين* لسهل بن رفاع بن سهيل العتيبي (١٤٣٠ق)، ناقش المؤلّف في الفصل الثالث من الباب الأوّل حقيقة الرؤيا واعتبرها جزءاً من النبوّة؛

٨. وأخيرا كتاب *تفسير الأحلام* لسيجموند فرويد (١٩٦٢م)، قام فيه بتحليل الرؤيا تحليلا نفسيا منبنياً على الرؤية الجنسية.

هذه الكتب اعتنت بعرض آراء العلماء حول الرؤى من وجوه ورؤى مختلفة حيث قام بعض المعبّرين بتفسير الأحلام وفق الرؤية اليونانية القديمة، وبعضهم وفق الرؤية النفسية، وبعضهم أيضا وفق الرؤية الإسلامية، ومنهم من استعان بالآيات القرآنية في الكشف عن تأويلات بعض الرؤى، والجديد في بحثنا هذا هو أننا قمنا بمقارنة مدلولات التعبيرات والرموز القرآنية لكي نكشف عن تشابه هذين الحقلين العلميين وترابطهما في مجال خاص.

٣. أهمية البحث

يكشف هذا البحث عن حقيقة مهمّة وطريفة وهي أنّ وحي *القرآن الكريم* وإلهام عالم الرؤيا يصدران من معين واحد، كما أنّه يقدّم منهجاً جديدا للكشف عن المعارف القرآنية التي تضمن سعادة البشرية.

٤. منهج البحث

انتهجنا في هذا البحث المنهج الوصفي – التحليلي حيث استخرجنا الرموز التي تدلّ على الهداية والضلالة في *القرآن الكريم* وكتب الرؤيا، ثمّ بحثنا في كتب تفسير *القرآن الكريم* وتأويل الرؤيا عن آراء العلماء المختصّين في كلا المجالين، وأخيراً قمنا بالمقارنة والنقاش والتحليل.

٥. عرض موجز لمفاهيم البحث

يحسن بنا قبل الخوض في صلب الموضوع أن نحدّد المصطلحات والمفاهيم الأساسية للبحث وهي الرؤيا والوحي والرمز.

١.٥ الرؤيا

جاء في القاموس المحيط ما نصّه: «والرؤيا: ما رأيته في منامك» (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥: انظر ذيل مادة رأي)، وفرّق بعض اللغويين بين الرؤيا والحلم وذهبوا إلى أنّه «غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح» (ابن منظور، ١٤١٤: انظر تحت مادة ح ل م؛ العسكري، ١٤١٢: ١٩٨).

وممّا يجدر بالتنويه عليه في بحثنا هذا هو علاقة الرؤيا بالوحي، حيث اعتبر النبي (ص) الرؤيا نوعاً من الوحي وذلك في مثل قوله (ص):

> الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة وقال لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له (ابن خلدون، د.ت: ج ١، ٤٧٥-٤٧٦).

وقد انقسمت الرؤى في قوله (ص) إلى ثلاثة أنواع؛ «الرؤيا ثلاث؛ فالرؤيا الصالحة بشرى من الله والرؤيا من تحزين الشيطان والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه» (السيوطي، ١٣٦٨: ج ٣، ٣١٢؛ المجلسي، ١٤٠٣: ج ٥٨، ١٩١).

٢.٥ الوحي

جاء في بعض قواميس اللغة حول مادّة الوحي ما نصّه: «ووَحَى إليه وأَوْحَى: كلَّمه بكلام يُخفِيه من غيره» (ابن منظور، ١٤١٤: انظر ذيل مادة و ح ي).

وقال المجلسي: «الوحي: إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفي» (المجلسي، ١٤٠٣: ج ٦٢، ٢٩٦).

وقام بعض العلماء إلى تعريف هذه الظاهرة المغلقة التي ينحصر اختبارها على الأنبياء وخلفائهم المعصومين (ع) وتحديد مدلولها. فقد قال الحكيم:

> وقد أطلق هذا اللفظ (الوحي) على الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسوله، نظرا إلى خفائها ودقتها وعدم تمكن الآخرين من الاحساس بها (الحكيم، ١٤١٧: ٢٥).

ويقوم ابن حجر إلى تحديد هذا المصطلح بقوله:

والوحي لغة الإعلام في خفاء والوحي أيضا الكتابة والمكتوب والبعث والإلهام والأمر والإيماء والإشارة والتصويت شيئا بعد شئ وقيل أصله التفهيم وكلّ ما دللت به من كلام أو كتابة أو إشارة فهو وحي وشرعا الإعلام بالشرع وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي (العسقلاني، د.ت: ج ١، ٦).

على أيّ حال لا تكاد تنجلي هذه الحقيقة الكبرى إذ تنحصر تجربتها على الأنبياء (ص) ويكفينا أن نؤمن بها وأن نصدّقها حسب علائمها وآثارها المترتّبة عليها.

٣.٥ الرمز

قد عرّف ابن منظور هذه المادة بقوله:

الرَّمْزُ: تصويت خفي باللسان كالهَمْس، ويكون تحريكَ الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت إنما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرَّمْزُ إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم. والرَّمْزُ في اللغة كل ما أَشرت إليه مما يُبانُ بلفظ بأَي شيءٍ أَشرت إليه بيد أَو بعين (ابن منظور، ١٤١٤: انظر ذيل مادة ر م ز).

أمّا حول دلالته الاصطلاحية فذهب العلماء في تحديدها مذاهب شتّى، وهذا الاختلاف يشتدّ في العصور الأولى ثمّ اتّضحت حدوده ومعالمه شيئا فشيئا إلى أن جعله علماء البلاغة أحد أنواع الكناية.

من الذين درسوا الرمز قبل السكاكي، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب في كتابه البرهان في وجوه البيان، وأبو الفرج قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر – إذا صحّت نسبة الكتاب إليه –، وأبو الإصبع المصري في كتابه بديع *القرآن*.

يقول أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم: «إنما يستعمل المتكم الرمز في كلامه لغرض طيّه عن كافة الناس والافضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسماً من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس، أو حرفا من حروف المعجم، ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه رمزه، فيكون ذلك قولاً مفهوما بينهما مرموزا عن غيرهما» (إسحاق، ١٩٦٧: ١١٢)، أمّا قدامة بن جعفر فيبدو أنّ رأيه لا يختلف عن رأي إسحاق بن إبراهيم سواءٌ صحّت نسبة الكتاب إليه أم لم تصحّ، ولا نظنّ أنّه يختلف عن علماء عصره في هذا المجال (قدامة، ١٩٨٠: ٦١–٦٢).

ويعرّفه أبو الإصبع المصري قائلاً:

> هذا الباب فحواه أن يريد المتكلم أمراً ما في كلامه، مع إرادته إفهام المخاطب ما أخفاه، فيرمز في ضمنه رمزاً يهتدى به إلى طريق استخراج ما أخفاه من آلامه (المصري، ١٩٥٧: ٣٢١).

والسكاكي يجعل الرمز ضمن أنواع الكناية قائلاً: «إنّ الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة» (السكاكي، ١٤٠٧: ٤٠٣)، ويعرّف الكناية بقوله: «الكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك ... وسمّي هذا النوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التصريح» (المصدر نفسه: ٤٠٢)، ثمّ ينتقل إلى تعريف أنواعها كلّ على حدة ويعرّف هذا النوع قائلاً: «وإن كانت ذات مسافة قريبة مع نوع من الخفاء كنحو: «عريض القفا» و«عريض الوسادة» كان إطلاق اسم الرمز عليها مناسباً، لأنّ الرمز هو أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخفية» (المصدر نفسه: ٤١١). وحذا كثيرٌ من البلاغيين التالين حذو السكاكي في التعريف والتقسيم، منهم على سبيل المثال الخطيب القزويني وسعد الدين التفتازاني والسيوطي (الخطيب القزويني، ١٤٢٤: ٢٤٨؛ التفتازاني، ١٤١١: ٢٦١؛ السيوطي، ٢٠١١: ٢٣٧-٢٣٨).

ويحسن هنا أن نشير إلى الفرق الدقيق بين الرمز والوحي حسب رأي أبي الإصبع المصري حيث يعتقد:

> أن المتكلم في باب الوحي والإشارة لايودع كلامه شيئاً يستدل منه على ما أخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره، بل يوحي مراده وحياً خفياً لا يكاد يعرفه إلا أحذق الناس، فخفاء الوحي والإشارة أخفى من خفاء الرمز والإيماء (المصري، ١٩٥٧: ٣٢١).

وبقي لنا أن ننصّ على أنّ بعض العلماء يعدّون الإلهام والإشارة والإيماء والكتابة والرؤيا من أقسام الوحي (ابن منظور، ١٤١٤: انظر ذيل مادة و ح ي).

٦. البحث

١.٦ تعددية دلالات الرموز في كلام الوحي وعالم الرؤيا

ينبغي التنويه إلى حقيقة طريفة ومهمّة وهي أنّ لبعض الرموز القرآنية ورموز عالم الرؤى -

منها الرموز الدالّة على الهداية والضلالة – دلالات متعدّدة، إذ قد يدلّ رمز واحد على عدّة معان، وكذا يصدق عكس هذه الحقيقة حيث قد يتمّ استعمال عدّة رموز للدلالة على معنى واحد.

وبالإمكان أن نقدّر أنّ بعض الأحاديث والآثار الواردة عن المعصومين والعلماء تشير إلى التعددية الدلالية في *القرآن الكريم* وتؤكد عليها وتوثّقها، وذلك مثل قولهم: «إنّ *القرآن* ذو شجون وفنون، وظهور وبطون» (السيوطي، ١٣٦٨: ج ٢، ٦).

وقد روي أيضاً أنّ للقرأن الكريم سبعة بطون أو سبعين بطنا أو سبع مئة بطن (الجزائري، ١٤١٧: ج ١، ٢٣٨).

ومن الواضح أنّ هذه التعددية الدلالية تناسب المقتضيات والمقامات المختلفة، وقد تختلف دلالاتها وتأويلاتها على حسب المخاطبين وظروفهم وأحوالهم، فمثلاً يُؤثَر جانب الرحمة والمغفرة بالنسبة للمتّقين ويترجّح معنى العذاب والشدّة في مواجهة الفاسقين والظالمين والكافرين، فـ«هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلّا خسارا» (الإسراء: ٨٢). ألم تر إلى هذه الآية مثلاً «الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير» (الشورى: ١٥) تحوي دلالة البشارة للمؤمنين ودلالة التحذير للكافرين.

ولغة الرؤيا أيضا هكذا، فمعظم العلامات المرئية المرموزة تكون حمّالة أوجه، ويصعب على المؤوّل أن يختار الأنسب والأليق بالمقام (حمايمي، ٢٠١٢: ١٠٠)، حيث يؤكد المعبّرون أنّ رؤيا كلّ إنسان تؤوّل حسب مرتبته وشأنه وحرفته، فليس الحاكم كالمحكوم والغني كالفقير والرجل كالمرأة، والمتزوج كالأعزب، والصحيح كالمريض (المصدر نفسه: ١٠١)، فعلى سبيل المثال من رأى أنّه وجد درهما صحيحاً يتعيّن على المؤوّل أن ينظر إلى صاحب الرؤيا، فإن كانت امرأته حبلى فإنّها تلد غلاما، وإن كان في خصومة فإنّه يسمع من خصمه كلاماً حسناً، وإن كان مفلساً فإنّه يصيب مثله من المال في اليقظة، وإن كان صاحب ورع ونسك فإنّه يسبّح الله ويذكره، وإن كان فاسقاً وقرأ عليه منقوشاً «ضرب هذا الدرهم» فإنّه يضرب. وكذلك الرموز الأخرى، فمن رأى حية فإن كان بين صاحب الرؤيا وبين إنسان آخر خصومة

فالحية ترمز إلى عدوّه، وإن كان صاحب زرع فهي ترمز إلى زرعه، وإن كان فقيراً فيذهب فقره ويحسن حاله (القادري، ٢٠٠٠: ج ١، ١٠٧-١٠٨).

والآن ندرس مفاهيم الرموز التي تدلّ على الهداية في لغة *القرآن الكريم* ولغة الرؤيا لتبيين هذه المشابهة مؤكدين على أنّ هذه الرموز أوّلاً لا تنحصر بهذه النماذج القليلة التي نذكره في هذا البحث، وثانياً لا تنحصر دلالات الرموز بما ذكرناه وبحثناه في هذه الدراسة الموجزة وثالثاً ليس إثبات وجوه التشابه والمناسبة بين لغة *القرآن الكريم* ولغة الرؤيا بمنزلة نفي وجوه افتراق في بعض الأمثلة الأخرى.

والأمثلة التي نعالجها في هذا المقال هي: النور والظلمة، والبصيرة والعمى، والحياة والموت، وهي رموز عقلية، والحبل والطريق والسفينة وهي رموز حسية.

٢.٦ الرموز العقلية

١.٢.٦ النور والظلمة

قد فسّر النور في كثير من الآيات بالهدى ودين الحق و*القرآن الكريم*، منها على سبيل المثال قوله تعالى: «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (التوبة: ٣٢)، حيث تمّ تأويله بتعبيرات متقاربة منها دين الله والْإِسْلَام وكذلك قالوا: إنّه هو الْحَقّ الَّذِي بَعَثَ اللَّه بِهِ مُحَمَّدًا (ص) وقيل: هو نُور الْقُرْآن (الطبري، ١٤١٥: ج ١٠، ١٥٠). ويؤكد الطبري كذلك على أنّ النور في قوله تعالى: وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ (الحديد: ٢٨) يدلّ على الْقُرْآن والْفُرْقَان وَاتِّبَاع النَّبِيّ (ص) والْهُدَى وينصّ على أنّ هذا المعنى قال به كثير من العلماء والمفسّرين (الطبري، ١٤١٥: ج ٢٧، ٣١٧-٣١٨).

وفي قوله تعالى: مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ (البقرة: ١٧) تأوّل النور بالإيمَان وتأوّلت الظلمات بالضلالة والكفر، كما قال الطبري: «أما النور فهو إيمانهم الذي يتكلمون به، وأما الظلمات، فهي ضلالتهم وكفرهم» (الطبري، ١٤١٥: ج ١، ٢٠٧).

ويرى المعبّرون أيضاً أنّ النور هو الهدى ويدلّ على الأعمال الصالحة وعلى العلم وعلى *القرآن*، وإن رأى الكافر أنّه خرج من الظلمة إلى النور رزقه الله تعالى الإسلام والإيمان وتولّاه في الدنيا والآخرة (ابن سيرين والنابلسي، ٢٠٠٨: ١١٦٧)، وأنّ الظلمة هي الضلالة، فمن خرج من ظلمة إلى نور فإنّه يسلم إن كان كافراً أو يتوب إن كان عاصياً (المصدر نفسه: ٧٥١-٧٥٢). وقد تمّ تعبير النور بعد الظلمة بالهداية بعد الضلالة وبالتوبة بعد العصيان (الناصري، ١٤٢٩: ٤٩٨)، وقد روي عن الإمام الصادق (ع) أنّ رؤية الظلمة تؤوّل بالكفر والتحير وتفسير الأمور والبدعة والوقوع في الضلالة (المصدر نفسه: ٣٤٥).

٢.٢.٦ البصيرة والعمى

البصر في هذه الدنيا هو البصيرة وعين القلب يوم القيامة، والبصيرة في هذه الدنيا كليلة وفي يوم القيامة نافذة تبصر ما لم تكن تبصره في الدنيا. فمن الواضح أنّ «مشاهدة وقوع ما أخبر به الكتاب وأنبأ به الانبياء يوم القيامة من غير سنخ المشاهدة الحسية التي نعهدها في الدنيا» (الطباطبائي، د.ت: ج ٣، ٢٧).

أوّل العلماء لفظة العمى في بعض الآيات بالضلال وفقدان الحجة وذلك مثل قوله تعالى: «وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» (طه: ١٢٤)، وكذا في قوله تعالى: «قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا» (طه: ١٢٥)، فمن الواضح أنّه ليس المقصود بالعمى في هذه الآية معناه الظاهر، وقد نقل الطبري عن بعض العلماء أنّ هذه اللفظة هنا بمعنى فقدان الحجة (الطبري، ١٤١٥: ١٦/ ٢٨٤).

قال العلامة الطباطبائي:

> يكون المجرم أعمى لا يبصر ما فيه سعادة حياته وفلاحه وفوزه بالكرامة وهو يشاهد ما يتم به الحجة عليه وما يفزعه من أهوال القيامة وما يشتد به العذاب عليه من النار وغيرها (الطباطبائي، د.ت: ج ١٤، ٢٢٦).

وأوّل المعبّرون هاتين اللفظتين قائلين: «وبصر الإنسان يدلّ على بصيرته ودينه وعلمه وحكمته، والعمى يدلّ على الجهل والعمى عن الحجّة» (ابن سيرين، ٢٠٠٢: ٥٨).

والعينان تدلّان على على الدين ومن رأى أنّه أعمى أو انفقأت عيناه فقد صدّ الإسلام بمعصية كبيرة (الناصري، ١٤٢٩: ٣٧٢).

قال المعبّرون: إنّ العمى يدلّ على الضلال في الدين ونسيان *القرآن*، وإن رأى كأنّ إنساناً أعماه فإنّه يضلّه ويزيله عن رأيه (ابن سيرين والنابلسي، ٢٠٠٨: ٧٩٨). فكما رأينا يرى المعبّرون أنّ العين في الرؤيا ترمز إلى دين الرجل وهي بصيرته التي يميّز بها الهدى من الضلالة ويفرّق بين الإيمان والكفر.

٣.٢.٦ الحياة والموت

ترمز الحياة في كثير من النصوص القرآنية إلى الهداية والصراط المستقيم ودين الحق، مثل قوله تعالى: «أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها» (الأنعام: ١٢٢).

حيث فسّره العلامة الطباطبائي بقوله: «فالإنسان قبل أن يمسه الهدى الإلهي كالميت المحروم من نعمة الحياة الذي لا حس له ولا حركة فإن آمن بربه إيمانا يرتضيه كان كمن أحياه الله بعد موته ... وأما الكافر فهو كمن وقع في ظلمات لا مخرج له منها ... ففي الكلام استعارة الموت للضلال واستعارة الحياة للإيمان أو الاهتداء» (الطباطبائي، د.ت: ج ٧، ٣٣٧). ويضيف العلامة الطباطبائي في معرض تفسيره لقوله تعالى: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون» (الروم: ١٩) أنّ الآية تعني أنّ الله خلق المؤمن من الكافر وخلق الكافر من المؤمن فإنه يعدّ المؤمن حيا والكافر ميتا (الطباطبائي، د.ت: ج ٣، ١٣٦).

ومن رأى أنّه مات ورأى مع ذلك هيئة الأموات من البكاء والغسل والجنازة فهو فساد في الدين، وإن دُفِنَ لقي الله تعالى غير تائب (الدينوري، ٢٠٠١: ١٢٦).

وكذا الحياة في كتب تعبير الرؤيا فقد قيل من رأى أنّ فلاناً مات وهو غائب يأتيه خبر بفساد دينه وصلاح دنياه، ومن رأى أنّه غسّل ميتا مجهولاً فإنّه يطهّر رجلاً فاسد الدين فيتوب على يديه (ابن سيرين والنابلسي، ٢٠٠٨: ١١١٢).

٣.٦ الرموز الحسيّة

١.٣.٦ الحبل

فسّر علماء التفسير من الشيعة والسنة الحبل في كثير من النصوص القرآنية بالدين الحقّ و*القرآن الكريم* وأهل البيت (ع)، منها قوله عزّ وجلّ: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا» (آل عمران: ١٠٣).

نقل الطبري آراء كثير من العلماء في تأويل هذه الكلمة في هذه الآية وهم يؤوّلونها بدِينِ اللَّه وعهْده إلى الناس من الْأُلْفَة وَالِاجْتِمَاع عَلَى كَلِمَة الْحَقّ وَالتَّسْلِيم لِأَمْرِ اللَّه ويؤوّلونها بكتَاب اللَّه ودين الْإِسْلَام. يقول الطبري:

> وتعلّقوا بأسباب الله جميعا. يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله (الطبري، ١٤١٥: ج ٤، ٤٢).
>
> الحبل هنا هو كلام لله تعالى، وفي الجملة هو دينه فكما أن للحبل طرفين يوصل بينهما فكذلك للدين طرفين الطرف الأول هو لله تعالى والطرف الثاني هم عباده المؤمنين، الذين استمسكوا بدينه، وهذا رمز واضح وجلي مفاده أن الحبل دليل يرمز للنجاة (حمايمي، ٢٠١٢: ٩١-٩٢).

وكذلك يقول جلّ المعبّرين أنّ رؤيا الحبل «إن كان من السماء فهو *القرآن*، والدين وحبل الله» (ابن سيرين والنابلسي، ٢٠٠٨: ٢٨٠). فإن رأى أنه تمسك بحبل فهو معتصم بحبل اللّه تعالى (النابلسي، د.ت: ج ١، ٧٨).

ومن رأى حبالاً تصير عصيا وبالعكس دلّ على دخول أمر فيه سحر وشعوذة وخداع، وقد يدلّ الحبل على الميثاق (الناصري، ١٤٢٩: ١٥٠).

٢.٣.٦ الطريق

الطريق في *القرآن الكريم* عُبّر به عن الصراط والسبل وأشباههما ولها معان ودلالات مختلفة حسب ما يجاورها من ألفاظ. الصراط المستقيم من أهم الألفاظ في هذا الحقل الدلالي الذي ورد كثيرا في *القرآن الكريم*، وهو الدين الذي أمر الله به، من التوحيد والعدل وولاية من أوجب

الله طاعته (الطبرسي، ١٤١٥: ج ١، ٦٦)، أو هو الاسلام (الحاكم النيسابوري، ١٤٠٦: ج ٢، ٢٥٩ و ٤٤٦)، أو هو صراط محمد (ص) وآله (ع) (شرف الدين، ١٤٠٢: ٨٩؛ الصافي، ١٣٩٧: ١٨٣). وهذا الدين (أو هذا الصراط) يشتمل على الهداية إلى السعادة والنجاة (الطباطبائي، د.ت: ج ١، ١٧١).

الطريق يدلّ على الحالة الدينية والدنيوية للإنسان، فكلّما كان مستقيما منيرا كان إيمان صاحب الرؤيا ونهج حياته حقّا وعلى ما يرضي الله تعالى، وإن كان مظلما معوجا فعلى العكس (عارف، ٢٠٠٨: ٢٤٤).

والطريق يدل في المنام على الشريعة والديانة. فإن رأى أحدٌ أنه يمشي في غير طريقه فإنه في ضلالة من دينه. وكذا الطريق المستقيم يدلّ على ما يقتدى به من كتاب اللّه وسنّة نبيّه، وإن كان الشخص عاصيا تاب، وإن كان كافراً اهتدى. والطرق المختلفة دالة على الذبذبة والحيرة. والطرق المتشابهة هي التي تؤدي إلى الضلالة والبدعة والكفر (النابلسي، د.ت: ٢٣٣).

٣.٣.٦ السفينة

السفينة في الديانة الإسلامية و*القرآن الكريم* رمز النجاة. يقول الله تعالى: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (العنكبوت: ٦٥) حيث إنّ الناس ما داموا في السفينة فهم ناجون. كذا نجا من قوم نوح من ركب السفينة وهلك من تخلّف عنها، لنتأمّل في قوله تعالى: «فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون» «ثم أغرقنا بعد الباقين» (الشعراء: ١١٩-١٢٠).

وورد شبه ذلك في أحاديث رَسُول اللَّهِ (ص) منها قوله: «إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَرَكَهَا هَلَك» (الطبراني، ١٤٠٤: ج ٣، ٤٥).

والغرق في الآيات القرآنية يتلوه الهلاك والضلال، ويتجلّى ذلك في قصّة قوم نوح وابنه وفرعون. ينص *القرآن الكريم* أنّ قوم نوح أغرقوا بسبب خطاياهم وضلالاتهم. «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً» (نوح: ٢٥). وكذا ابن نوح حيث قاده عناده وغيّه إلى الغرق والهلاك: «وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنْ الْمُغْرَقِينَ» (هود: ٤٣).

وكذلك السفينة في كتب تفسير الرؤيا تدلّ على كلّ ما يُنجَى فيه ممّا يدلّ الغرق عليه وربّما دلّت على الصراط الذي عليه ينجو أهل الإيمان من الغرق، ومن رأى أنّه ركب سفينة فيجب النظر إلى حاله ومآل أموره، فإن كان كافراً فإنّه يسلم وإن كان مذنباً فإنّه يتوب من ذنبه، وإن كان فقيراً يستغني من بعد فقره وإن كان مديناً قُضي دينه، وإن رأى في السفينة ميتاً فقد نجا الميت وفاز برحمة الله تعالى، والسفينة نجاة من الكرب والهم والمرض والحبس لمن رأى أنّه ملكها (ابن سيرين والنابلسي، ٢٠٠٨: ٥٢٨-٥٣٣).

وكذا جاء في كتب أخرى أنّ السفينة في المنام هي النجاة، إن جرها على الأرض فإنه يقود وينافق في الدين، فإن ركبها مع قوم صالحين فإنه يتبع الهدى ويغفر اللّه تعالى له، فإنه خرج منها سعد ونجا من أعدائه. وأخذ حبل السفينة حسن الدين وصحبة الصالحين. وربما دلّت السفينة على المسجد أو السوق أو موالاة أهل البيت رضي اللّه عنهم لأنّهم سفن النجاة. فإن غرقت السفينة في البحر كان دليلاً على أنه من أهل النار (النابلسي، د.ت: ج ١، ١٧٢).

٧. النتائج

تمّت دراسة مدلولات الرموز الدالّة على الهداية والضلالة في *القرآن الكريم* وعالم الرؤيا في هذا المقال وأسفرت عن النتائج التالية:

١. تتشابه لغة الرؤى ولغة الوحي من عدة وجوه؛ منها استعمال الرموز والحاجة إلى كشف دلالاتها؛

٢. هناك تناسب وتشابه بين مدلول بعض الرموز في عالم الوحي وعالم الرؤيا حسب كتب تفسير *القرآن الكريم* وكتب تعبير الرؤى؛

٣. النور والظلمة، والبصيرة والعمى، والحياة والموت، من الرموز العقلية الدالّة على الهداية والضلالة في *القرآن الكريم* وعالم الرؤيا، وكذلك الطريق والحبل والسفينة رموز حسية لها نفس الدلالة؛

٤. يمكننا الاستعانة بدلالات الرموز القرآنية لتعبير الرؤى وكذلك يمكننا الاستعانة بدلالات الرموز الجارية في عوالم الرؤى للكشف عن بعض الحقائق في النصوص القرآنية ودلالاتها.

المصادر

القرآن الكريم.

ابن إبراهيم إسحاق (١٩٦٧م). *البرهان في وجوه البيان*، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، د.ط، القاهرة: مكتبة الشباب.

ابن جعفر، قدامة (١٩٨٠م). *نقد النثر*، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن خلدون (د.ت). *تاريخ ابن خلدون*، ط ٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن سيرين، محمد (٢٠٠٢م). *منتخب الكلام في تفسير الأحلام*، اعتنى به ورتّبه محمود طعمة حلبي، ط ٥، بيروت: دار المعرفة.

ابن سيرين، محمد و عبد الغني النابلسي (٢٠٠٨م). *معجم تفسير الأحلام، إعداد باسل البريدي*، د.ط، بيروت: نشر دار اليمامة.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤ق). *لسان العرب*، ط ٣، بيروت: دار صادر.

الإفسي، أرطميدورس (١٩٩١م). *تعبير الرؤيا*، ترجمة حنين بن إسحاق، تحقيق وتصحيح عبد المنعم الحفيني، تعبير الرؤيا، ط ١، القاهرة: دار الرشاد.

التفتازاني، سعد الدين (١٤١١ق). *مختصر المعاني*، ط ١، قم: دار الفكر.

الجزائري، السيد نعمة الله الموسوي (١٤١٧ق). *نور البراهين في أخبار السادة الطاهرين*، تحقيق السيد الرجائي، ط ١، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين.

الحاكم النيسابوري، محمد بن محمد (١٤٠٦ق). *مستدرك الحاكم، تحقيق يوسف المرعشي*، د.ط، بيروت: نشر دار المعرفة.

الحكيم، سيد محمد باقر (١٤١٧ق). *علوم القرآن*، ط ٣، قم: مجمع الفكر الإسلامي.

حمايمي، محرز (٢٠١٢م). «سيميائية الأحلام في التراث العربي؛ كتاب تفسير الأحلام لابن سيرين أنموذجا»، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر.

الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (١٤٢٤ق). *الإيضاح في علوم البلاغة*، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، ط ١، بيروت: نشر دار الكتب العلمية.

الدينوري، ابن قتيبة (٢٠٠١م). *تعبير الرؤيا*، تحقيق إبراهيم صالح، ط ١، دمشق: دار البشائر.

السكاكي، أبويعقوب يوسف بن أبي بكر محمد (١٤٠٧ق). *مفتاح العلوم*، ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين (١٣٦٨ق). *الدر المنثور*، ط ١، بيروت: دار المعرفة.

السيوطي، جلال الدين (٢٠١١م). *شرح عقود الجمان في المعاني والبيان*، تحقيق إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبّار، ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية.

شرف الدين، عبد الحسين (١٤٠٢ق). *المراجعات*، تحقيق حسن الراضي، ط ٢، بيروت: نشر الجمعية الإسلامية.

الصافي، لطف الله (١٣٩٧ق). *أمان الأمة من الضلال والإختلاف*، ط ١، قم: المطبعة العلمية.

صرصور، فتحية إبراهيم (٢٠٠٩م). «الرؤيا في القرآن الكريم دراسة أسلوبية»، رسالة لنيل شهادة الماجستير في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة غزة.

الطباطبائي، محمد حسين (د.ت). *الميزان في تفسير القرآن*، د.ط، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (١٤٠٤ق). *المعجم الكبير*، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط ٢، الموصل: مكتبة العلوم والحكم.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (١٤١٥ق). *مجمع البيان في تفسير القرآن*، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط ١، بيروت: نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الطبرسي، ميرزا حسين النوري (١٩٩٢م). *دار السلام فيما يتعلّق بالرؤيا والمنام*، ط ١، بيروت: دار البلاغة.

الطبري، محمد بن جرير (١٤١٥ق). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطّار، د.ط، بيروت: نشر دار الفكر.

عارف، محمد عزت محمد (٢٠٠٨م). *عجائب تفسير الأحلام بالقرآن*، ط ١، عمان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع.

العتيبي، سهل بن رفاع بن سهيل (١٤٣٠ق). *الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين*، ط ١، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع.

العسقلاني، ابن حجر (د.ت). *فتح الباري؛ شرح صحيح البخاري*، ط ٢، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.

العسكري، أبو هلال (١٤١٢ق). *معجم الفروق اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي*، ط ١، قم: نشر جامعة المدرسين.

فرويد، سيجموند (١٩٦٢م). *تفسير الأحلام*، تبسيط وتلخيص نظمي لوقا، د.ط، القاهرة: نشر دار الهلال.

فريد، أحمد (١٤١٢ق). *تعجيل السقيا في تعبير الرؤيا*، ط ١، جدة: مكتبة الصحابة.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٢٠٠٥م). *القاموس المحيط*، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسُوسي، ط ٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

القادري، نصر بن يعقوب (٢٠٠٠م). *التعبير في الرؤيا أو القادري في التعبير*، تحقيق فهمي سعد، ط ٢، بيروت: نشر عالم الكتب.

المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (١٤٠٣ق). *بحار الأنوار*، ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المصري، ابن ابي الاصبع (١٩٥٧م). *بديع القرآن*، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، ط ١، القاهرة: مكتبة نهضة مصر.

النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (د.ت). *تعطير الأنام في تعبير المنام*، د.ط، بيروت: دار الفكر.

الناصري، محمد شراد (١٤٢٩ق). *تفسير الأحلام الكبير برواية الإمام علي وأهل البيت (ع)*، ط ٢، بيروت: نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی